المحاضرة (١)

مدخل تمهيدي الى دراسة المناهج التفسيرية

أ:توضيح بعض المفردات

المنهج، الاتجاه، المبنى، الاصول، الاساليب

ب:أقسام التفسير

مدخل

على الرغم من كون القرآن الكريم قد وصف نفسه بأنه نور وبيان، ولكنه من جهة أخرى حثَّ على التدبر والفهم حيث قال: أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا[١]. وقال أيضاً: أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا[٢]. وهذا ما يدل على أهمية التدبر والتفكر في فهم كتاب الله تعالى. وقد كان النبي (ص) أول مفسِّر للقرآن، وهو الذي وضع للمسلمين قواعد فهمه وطريقة استخراج معانيه، فقد ورد في الأثر أنَّ بعض المسلمين قد التبست عليهم فهم الآية الكريمة: الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ[٣]، فقالوا للنبيً(ص): وأيُّنا لم يظلم نفسه؟ ففسر لهم النبي معنى الظلم في الآية بأنها: الشرك، مستدلا بالآية الكريمة: إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ[٤].

والرسول هنا يريد أن يعلم المسلمين كيفية استخراج المعاني من القرآن وأنه مصدر مهم في فهم بعض المفردات والمفاهيم أي تفسير القرأن بالقرآن. وقد ورد عن النبي روايات في تفسير القرآن دوّنت بعد ذلك في عصر التدوين وقد كانت مصدراً مهما في فهم القرآن. ولم يقتصر الرجوع في

1- النساء:٨٢
2- محمد:٢٤
3-الأنعام:٨٢.
4-لقمان:١٣.

فهم القرآن وتوضيح ما التبس فهمه على الرسول بل أن بعض الصحابة وأئمة أهل البيت عليهم السلام كانوا يفسرون القرآن بما كانوا يملكون من عدة تفسيريه فقد نزل القرآن بلغتهم وشاهدوا أسباب النزول وعاصروا التنزيل واطلعوا على كثير من القرائن الحالية. وبالطبع لم يكونوا متساوين في هذه المسألة فقد كان بعضهم بلغ مراتب عالية في التفسير ومنهم دون ذلك.

وهكذا كان الحال في عهد التابعين. وبالطبع شكلت كل تلك الثروة التفسيرية على مستوى المنهج وعلى مستوى التطبيق مدخلا مهما لعلم التفسير والمناهج والاصول. وبمرور الزمن عند ترجمة العلوم وخاصة الفلسفة اليونانية اصطبغ التفسير متأثراً بهذا الوافد الجديد فتلون بهذا اللون وظهرت فكرة التفسير الفلسفي. ثم تكررت هذه الحالة عندما تطورت العلوم التجريبية في الغرب فتأثر بعض المفسرين بذلك وظهرت فكرة التفسير العلمي. وقبل ذلك وعند ظهور المدارس الكلامية والفقهية وظهور الاختلافات المذهبية لم يسلم التفسير من ذلك وتبعا لذلك ظهرت التفاسير الكلامية والفقهية والمذهبية. ومن هنا فإن هناك عواملاً كثيرة أثرت في التفسير ونوعت مناهجه ومدارسه منها القرآن نفسه فقد شكل نزوله في فترة ثلاثة وعشرين سنة مصدراً للفهم فما أجمل في مكان فصل في مكان آخر وما ورد عاما في سورة ربما خصص في سورة أخرى وهو ما يجعل التدبر في القرآن أمراً ذا أهمية كبيرة. كما أن الثروة الروائية شكلت أحد مصادر فهم القران وهو ما يعرف بالتفسير الأثري بشتى صنوفه. كما أن الروايات الواردة في ذم التفسير بالرأي شكلت معلما من معالم المنهج والطريقة المنحرفة في فهم القرآن والتنبيه عليها. كل ذلك شكل في ما بعد المادة الخام للمفسرين لكتابة مناهج التفسير وطرقه واتجاهاته.

تعريف المنهج، المبنى، الإتجاه والاسلوب

في دراسة هذا العلم تواجهنا مجموعة من المفاهيم ينبغي تحديدها ومعرفة معناها حتى لا يحصل تداخل في هذه المفاهيم وأن كان البعض قد خلط بين هذه المفاهيم ولم يميز المنهج عن الإتجاه أو المبنى وعلى أية حال سوف نبين معنى ما نريده في هذه المصطلحات في هذه المحاضرة:

المنهج في اللغة والاصطلاح

المنهج في اللغة: الطريق الواضح، يقال: النهج والمنهاج[1]. أما في الاصطلاح فقد عرّفه البعض بأنه: الطريق الواضح في التعبير عن شيء، أو في عمل شيء ، أو في تعليم شيء طبقاً لمبادىء ونظام معين بنيّة الوصول الى غاية معينة[2]. ومن هنا فيكون معنى المنهج التفسيري: هي الطريقة التي يسلكها مفسر كتاب الله وفق خطوات منظمة يسير عليها للوصول الى تفسير الكتاب العزيز طبقاً لمجموعة من الأفكار يعنى بتطبيقها وإبرازها من خلال تفسيره[3].

وبما أنه لا يمكن التفكيك بين المناهج وكيفية الاستفادة والانتفاع من المصادر التفسيرية فسوف يكون معنى المنهج هنا: مصادر التفسير كالروايات والعقل و... وبالرغم من أن البعض رادف بين المنهج والاتجاه إلا أن هناك من فرق بين الاثنين في بيان يأتي فيما بعد.

الإتجاه:

قلنا إن بعض المختصين في هذا العلم لم يفرق بين المنهج والإتجاه في الإصطلاح وهناك من جعل الاتجاه التفسيري يتأثر بمجموعة من العوامل منها: اهتمام المفسر وتأثره بما يحدث في عصره. كان يهتم المفسر بالجانب التربوي ويؤكد على هذه النقطة ويعطيها جلّ اهتمامه. أو اهتمامه بمسألة التقريب بين المذاهب فنقول أن: اتجاهه تربوي أو اتجاهه: تقريبي.

كما أن تخصص المفسر بعلم من العلوم له دور في تلون التفسير وتنوع اتجاهاته كأن يكون المفسر متبحراً باللغة أو متخصصا بالفلسفة أو العلوم التجريبية. ومن هنا، نقول: أن هناك اتجاهات كلامية، علمية، تاريخية و... وهناك من اطلق على الاتجاه مصطلح " اللون" فيقال: الألوان التفسيرية.

1- لسان العرب، مادة: نهج.
2- المنهج الأثري في تفسير القرآن ، محمد أبي طبرة، ص .٢٢
3-المصدر السابق، ص ٢٣

٣-المباني: المقصود من المباني هنا هي فرضيات وعقائد المفسر التي يأخذها كشيء مسلم قبل الدخول الى عملية التفسير. واذا اختلفت هذه المباني سوف تترك أثراً كبيراً في التفسير، وهي على نوعين:

أ-المباني الصدورية: مثل الاعتقاد بوحيانية القرآن، عدم تحريف القرآن وإعجازه.-

ب- المباني الدلالية: كالإعتقاد بحجية ظواهر القرآن، وإمكانية فهمه و...

ت-المباني الكلامية: على سبيل المثال من يعتقد بذات الحق وتنزيه صفاته الكريمة عما لا يليق به وأنه لا يأمر بالفحشاء والمنكر لا يؤخذ بظاهر قوله تعالى: وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا[1]

٤-الاسلوب: الاسلوب هو كيفية عرض التفسير. وهناك مجموعة من العوامل تؤثر في اختيار المفسر اسلوباً خاصاً في التفسير كأن يكون التفسير موجهاً الى مخاطب معين كأن تكون فئة الشباب فهنا لابد أن يأخذ المفسر بنظر الاعتبار مستوى المخاطب فتكون لغته سهلة بسيطة يبتعد فيها عن المباحث المعقدة ومن هنا: تختلف التفاسير فيما بينها من حيث الاسلوب: تفسير موضوعي وتفسير ترتيبي او تفسير مختصر وتفسير مفصل ومطول. ولا يقتصر الاسلوب على تفسير جميع القرآن بل حتى في اسلوب عرض الآية فعلى سبيل المثال: اسلوب صاحب "مجمع البيان" في تفسير الآية يكون كالتالي: أولاُ يخبر باختلاف القراءة ثم يذكر الحجة على القراءة ويدخل في البحوث اللغوية ويذكر الاعراب ثم اسباب النزول وأخيراً يذكر المعنى.

الجدير بالذكر أن هناك من يصنف التفاسير على أساس المذهب فيقول: التفسير الشيعي، المعتزلي ولاريب أن هذا التصنيف يأتي طبقاً لمذاهب المفسرين وهي مسألة تترك اثرا كبيراً على الاختلاف بين المفسرين.

1- الاسراء:١٦

٥-الاصول: يطلق على علم التفسير" أصول التفسير" والمقصود به عند البعض: المناهج والقواعد[١]. فقال عن أصول التفسير: هو ما يبنى عليه التفسير حسب قواعده ومناهجه. ثم فرق بين التفسير والاصول قائلا: إن الأصول هي المناهج التي تحد وتبين الطريق الذي يلتزمه المفسر في تفسير الآيات الكريمة[٢]. فرادف بين المناهج والاصول. وهناك من عرف الاصول بأن المفسر بحاجة الى مجموعة من القواعد المهمة للوصول الى المداليل الواقعية للقرآن. على سبيل المثال: الأخذ بنظر الاعتبار القراءة الصحيحة أو القرائن أو معرفة معاني المفردات في عصر النص[٣] . فالأصول في نظر الاول: هي المناهج والقواعد. اما عند الثاني فهي القواعد فحسب

أقسام التفسير

ينقسم التفسير الى عدة أقسام باعتبارات شتى:

١-ينقسم التفسير حسب الإجمال والتفصيل، فربما جاء التفسير شرحاً لمعنى اللفظ في اللغة أو معنى الجملة أو الآية على سبيل التحليل التام والتفصيلي للنص، وربما اقتصر على المعنى الإجمالي فقط.

٢-تقسيم التفسير باعتبار المصادر التي يستمد منها: كأن يكون المصدر رواية أو شهود أو لغة.

٣-تقسيم التفسير باعتبار تحصيله واتساع دائرة هذا الإمكان. وهذا التقسيم يعتمد على رواية ابن عباس حين قسم التفسير فقال: " التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه أحد إلا الله"

1-اصول التفسير وقواعده، خالد عبد الرحمن العك، ص٣٠
2- المصدر نفسه،٢٢
3- مباني وروش هاى تفسيرى، ٤٢.

وقد مثلوا للأول فيما يرجع الى لسانهم كاللغة والإعراب. وهنا، على المفسر أن يعرف ذلك . أما الثاني: فهو ما تتبادر الأفهام الى معرفة معناه من النصوص المتضمنة شرائح الاحكام ودلائل التوحيد. أما الثالث فما يرجع الى اجتهاد العلماء كبيان المجمل وتخصيص العام واستنباط الاحكام. ومثال الأخير: تفسير الروح وما يجري مجرى الغيوب.

٤- ويمكن تقسيمه من حيث اقتصاره على ما قاله مفسر واحد أو أكثر بأن يورد في تفسير النص ما قاله أكثر من مفسر على سبيل المقارنة فهو بهذا الاعتبار مقارن.

٥- يمكن تقسيم التفسير من حيث تناول المفسر لموضوع بعينه من موضوعات القرآن الكريم كالتوحيد والصلاة والصبر فيجمع الآيات المتعلقة بهذا الموضوع فيخرج بنتيجة حول ذلك المفهوم بالقرآن الكريم وهو ما يطلق عليه بـ" التفسير الموضوعي". أو يتناول تفسير القرآن فيبدأ بالفاتحة والبقرة وهكذا حسب ترتيب الآيات والسور في القرآن وهو ما يسمى بـ"التفسير الترتيبي" أو " التجزيئي".